إدراك العامل للبيئات المغلقة المبني الزجاجي نموذجا

La perception de l'opérateur dans les environnements clos
Le bâtiment en mur rideau verre comme modelé

مزازة كريمة
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

تاريخ الاستلام : 2023-10-13؛ تاريخ المراجعة : 2024-05-19 ؛ تاريخ القبول : 2024-06-30

ملخص :

يعتبر الإدراك البيئي مقياس من مقاييس علم النفس البيئي حيث يهتم هذا الجانب بعلاقة و تفاعل الفرد مع ما يحيط به وذلك من خلال المعالجة الحسية و المعرفية حتى يتمكن من التصرف وفق معطياتها ،وعليه فقد لوحظ أنه كلما زاد فهم الفرد لبيئته استطاع التكيف معها والسيطرة عليها وإدراكا منا لأهمية الموضوع جاءت هذه الورقة البحثية للإشارة منا إلى محاولة فهم العملية الإدراكية للعامل في البيئات المغلقة بصفة عامة والمبني الزجاجي صفة خاصة وكيفية التصرف و التعامل معها .

الكلمات المفتاح : إدراك بيئي؛ معالجة حسية؛ معالجة معرفية؛ مبني مغلق.

Abstract :

la perception environnementale est un mesure parmi les mesures de la psychologie environnementale. elle se concentre sur la relation et l'interaction de l'individu avec son environnement, en utilisant à la fois le traitement sensoriel et cognitif pour lui permettre de réagir en fonction de ces informations. ainsi, il a été observé que plus la compréhension de l'individu de son environnement est accrue , plus il est capable de s'adapter et de le contrôler . c'est pourquoi cette étude vise à comprendre le processus cognitif de l'individu dans des environnements clos en général, et en particulier dans les bâtiments en mur-rideau –verre, ainsi que les moyens de gérer et d'interagir aveu eux.

Keywords : perception environnementale ;traitement sonsoriel;traitement cognitive ; bâtiment clos.

I- تمهيد :

الإدراك عملية تمثل محور السلوك البيئي لأنه مصدر المعلومات عن البيئة ، فهذه الأخيرة تنبه الحواس وتمد الفرد بمعلومات أكثر بكثير مما يمكنه من معالجتها بكفاءة وبناء على ذلك فحسب Ittelson 1976 الإدراك ليس مردفا للإحساس وإنما هو ناتج تنقية يقوم بها الفرد .((فرنسيس، 2002 ص 62)

في الواقع يعتبر الفرد جزء لا يتجزأ من النظام أو النسق البيئي الذي يدركه ويصبح من الصعب في بعض الأحيان أن نفصلهما (الإدراك،الفرد) في العملية الإدراكية مادام يتفاعلان مع بعضهما ،كما ينطوي الإدراك على تعاقب السرعة والدقة حيث يعتبرهما kaplan1978 أهدافا مرغوبة في العملية الإدراكية . و يساعد النظام التمثلي العقلي على شحذ هذا التعاقب الضروري بالتعرف السريع على الأشياء المحتملة على الرغم من التغيرات في المنظور أو المعلومات الحسية الأولية.

* مزازة كريمة.

وفي نفس السياق فإن قدرتنا على التوقع الناجح لما سيحدث لاحقا أمر مهم للبقاء خلال تاريخينا التطوري، وهي تعتمد على قدرتنا في تخزين المعلومات عن البيئة الفيزيقية بدقة وتسمح لنا الذاكرة المكانية أن نعيش عالم متسع من الحيز نكون فيه واعين بالأماكن و الأشياء التي تقع خارج نطاق حواسنا. ومن هذا المنطلق يمكن طرح التساؤل التالي:

ماذا نقصد الإدراك البيئي للفرد؟ وكيف تتم العملية الإدراكية لمعالجة المعلومة البيئية ؟

I .**1- تعريف الإدراك البيئي** : هي مجموعة من الآليات و العمليات التي من خلالها يأخذ العضو معارفه من العالم وما يحيط به حيث تكون هذه المعلومات وفق ما التقطته حواسه**(**p 51Bonnet, 1993) **.**

هذه الآليات الإدراكية لا تعادل آلة تصوير التي من شأنها أن تمنح للبيئة صورة طبق الأصل للجميع ، وإنما على العكس من ذلك فإن الإدراك عملية نشطة يشارك فيها الفرد باعتباره جزء منها حيث يدرك بيئته التي يعيد بناؤها ونتيجة لهذا التنظيم الإدراكي يصبح كل فرد منا له تمثيلات خاصة به. (p 17Lévy-leboyer, 1980) و كرد فعل مباشر يتم تسجيله في لحظة، يتطلب الإدراك حفظ العناصر المدركة التي بدونها تجعل البيئة جديدة في أي لحظة ، ولن تكون أي معرفة مستقرة ، ولهذا يستحيل على الأفراد التصرف و التنبؤ و التقييم ، وبالتالي التكيف مع البيئة يستند بهذا على التخزين أو الحفظ على تعدد التصورات التي نجحت مع مرور الوقت، و التي تؤثر على طريقة إدراك منطقة معينة من البيئة أو البيئة الجديدة. **(**p91Steri, 1994)

II .**2. - المعالجة في العملية الإدراكية :** يتم التقاط المعلومات الحسية من قبل مستقبلاتنا الطرفية، التي تتكون من خلايا تشريحية ووظيفية مختلفة اعتمادا على النظام الحسي الموجود بخلايا بصرية ، جلدية ....الخ. عندما يتم استثارتها، ترسل هذه الخلايا رسالة حسية إلى الجهاز العصبي المركزي، و التي يعتبر مقرا للإدراك حيث تتلقى هذه الرسالة معني. **(p 91Steri, 1994)** فتتشكل العملية الإدراك ليحدد المثير البيئي من خلال المعالجة الحسية أولا ثم من خلال المعالجة المعرفية الذي يفسر سلوكنا في البيئة**.**

II. 1.2- المعالجة الحسية: المعلومات الحسية واضحة على مستوى الأجهزة الحسية ، وذلك بفضل المستقبلات الحسية. فلكل إحساس طاقة فيزيائية من البيئة والتي تحفز مستقبلات حسية خاصة ومميزة، التي تؤدي إمكاناتها إلى إمكانات فعلية (p120 Bloch, et al., 1993)والتي تنتقل إلى الجهاز العصبي في شكل معلومات مشفرة . هذه الأخيرة سيتم تنظيمها على مستوى القشرة الدماغية عن طريق تجمعها في شكل مجموعات كبيرة ثم يتم معالجتها بإحدى الطريقتين : إعادة التنشيط أو التفسير . ففي الطريقة إعادة التنشيط (التفاعلية)، تثير المعلومات الحسية بشكل مباشر الاستجابات السلوكية من خلال الحلقات الحسية الحركية القصيرة (ردود الفعل، عتبة التحمل عن طريق الإحساس، الحروق، الوخز...) المتعلقة بذاكرة العاطفية أما الطريقة التفسيرية فهي أبطأ و أكثر تعقيدا ، يتم تفسير المعلومات وفقا للمعرفة المتاحة لذاكرتنا و هذا ما يسمي بالمعالجة المعرفية .

II. 2.2 -المعالجة المعرفية: يتكون هذا النمط من المعالجة من تفسير المعلومات الحسية انطلاقا من المعرفة السابقة للفرد، والتي يمتلكها كل واحد منا في ذاكرته طويلة المدى.هذه المعرفة هي تمثيلات لأشياء من العالم الخارجي، و التي تواجهه المعلومات الحسية الآنية من أجل "إعادة المعرفة". بدون هذه التمثيلات، يفقد الفرد إمكانية تحديد أو التعرف على العناصر أكثر أو أقل ألفة إلى حد ما، وهذا من شأنه أن يشكل عائقا رئيسيا في ممارسته للبيئة . هذه التمثيلات أو المعرفة هي آثار تراكمات نتيجة التجارب المعاشة، و التصورات المتكررة والتنقلات في البيئة. (p 17Lévy-leboyer, 1980) هو أصل ظهور السلوك أو الفعل الذي قد يتطلبه إدراك الآني و كذلك يسمح ويتطلب أيضا بتخطيط و توجيه الأنشطة المستقبلية.

يعزى المعنيين بشكل عام إلى التمثيلات، من ناحية ، فهو يحدد العملية العقلية التي تشكل صلة بين البيئة الحقيقية و البيئة المدركة، ومن ناحية آخري فإنه يحدد منتج هذه العملية في حد ذاته و التي هو تمثيل كل عنصر من عناصر البيئة في ذهن الفرد.(p89Denis, 1989)

يتم تفسير المعلومات انطلاقا من منتجات التمثيل، ويتم تنشيطها في الذاكرة قصيرة المدى للتعرف على المعلومات الحسية المألوفة ، وعندما تكون المعلومات جديدة ، تتكفل بها عملية التمثيل المسؤولة عنها. خلال عملية التجريد، يتم تحويل الرسالة الحسية بطريقة تتعرض لفقدان المعلومات التي لا تسمح للفرد بإعادة تكوين الشيء الأصلي بأمانة انطلاقا من تمثليه فقط. سيحتفظ فقط بالسمات البارزة التي تعتمد على : قدراته الحسية ، ودرجة التوافق مع القيم المدركة (من الثقافة و الخبرات). وفرصة التفاعل مع البيئة (حل المشكلات، التكيف ...)

التمثيلات العقلية تكون عابرة بطبيعتها، فبمجرد انتهاء المهمة ،يتم استبدالها بتمثيلات أخري متعلقة بمهام أخري علي عكس المعرفة الدائمة و المخزنة في ذاكرة طويلة المدى، لا تعتمد بشكل كامل على المهمة المراد تنفيذها طالما لم يتم تعديلها، فمن المفترض أن تبقى في نفس الشكل(P435Richard, 1993) .

III. 3- مرشحات التعديل في العملية المعرفية: غالبا ما نستعمل عبارة، "لكل منا تصوره للعالم " لتبرير الاختلافات في الرأي حول موضوع تمت مناقشته. في الواقع ،هذا التعبير له ما يبرره ،لأن المستويين الرئيسيين للإدراك: الفسيولوجي (حسي) والنفسي (معرفي) يختلفان من فرد إلى آخر، من مجموعة إلى آخري أو من ثقافة إلى آخري. على سبيل المثال يتم تقدير نفس شدة ضوء الشمس بشكل مختلف بين فردين من نفس العائلة كما يمكن تقديرها بشكل مختلف لدولتين مختلفتين في المناخ. ولهذا يتم التركيز على المستوي النفسي للإدراك وخاصة على المرشحات تعديل التي تحدد هذه الاختلافات في الإدراك، وهي الثقافة، الخبرة والشخصية. فتعمل الثقافة كمرشح تعديل بواسطة القواعد والقيم التي تعزوها مجموعة اجتماعية إلى مكونات بيئة، أما الخبرة فتساعد الفرد من خلال استراتجيات الاستجابة المكتسبة لتجربته، وفي الأخير الشخصية من خلال نمط المعرفي الذي يعزز فهم بعض مكونات معينة في البيئة بدلا من الأخرى.

III. 1.3-الثقافة: الثقافة هي تلك قدرة في مجموعة من الناس على تمييز أنفسهم عن الباقيين من خلال اللغة، العادات و طريقة فهمهم للعالم ، فهي سجيل معياري للمعاني المنسوب إلى مكونات البيئة. ففي علم النفس ، يعتبر أن تأثير الثقافة راسخ في الإدراك ،على سبيل المثال علم النفس الاكلينكي المعرفي، ،يستخدم اختبارات إسقاطيه (الأشكال التي يطلب من المرضي تفسيرها) التي تساعد على كشف سمات المريض أو كيفية إدراكه للعالم، وقد لوحظ أنه من ثقافة إلى آخري ،غالبا ما يكون تفسير نفس الأشكال بطرق مختلف. كاختبار روشاخ، الذي يتكون من ألواح بيضاء ملطخة بالحبر الأسود، يتم تفسيره بشكل مختلف بين الثقافة الغربية و جزر ساموا.(أرخبيل أوقيانوسيا) . ففي الثقافة الغربية، المساحة البيضاء بين البقع السوداء يتم إدراكها بنسبة قليلة جدا، بينما في جزر ساموا، فإنه يثير ردود فعل غزيرة لأنها مشحونة للغاية بالقيم (p35Visonneau, 2000) و بالتالي، فإن الثقافة التي نعيشها بشكل يومي، تعتبر كمرجع و إطار التعلم الذي يسمح للجهات الاجتماعية الفاعلة من اكتساب القدرة على التمييز بين المثيرات التي تستحق ضبطها، لإدخال النظام بين المطاق وغير المطاق و اختراق الأحاسيس المشروعة للمتعة و الاستياء. (p95Visonneau, 2000)

فالثقافة تتوسط بين ما يمكن إدراكه وإطار أحكام القيم أو الرضا، الذي يرتكز على المثيرات البيئة. وقد جاءت الدراسات الإنثولوجية و النفسية التي تم ذكرها من طرف Visonneau أظهرت مدي تأثير الثقافة على إدراك وهذا ما يوضح المثاليين التاليين في التجربة الإدراك البصري التي أجرها Ansbacher من أجل التقييم الإدراكي، حيث قدمت طوابع ذات الحجم متطابق لمجموعات ثقافية مختلفة وكشفت النتائج أن الأمريكيين يرون طوابع بلدهم أكبر من تلك التي لدي الكنديين. وهذه الأخيرة بدورها رأت طوابع بلدهم أكبر من تلك الأمريكية. و في نفس السجيل من الإدراك البصري ، شارك 30 طفلا في سن

العاشرة في تجربة قام بها Goodman 1947 & Bruner،حيث كان عليهم تقدير حجم القطع النقدية المتطابقة ولكن بقيم متغيرة. فأوضحت النتائج ،أن مبالغة التقدير لحجم القطعة النقدية متناسبة مع قيمتها النقدية ،خاصة عند الأطفال من خلفيات محرومة. في هذه التجارب، نجد أن العنصر المهم في هذا السياق الاجتماعي، يتم دمجه في المثير و منغمس داخل ثقافته الخاصة، حيث لا يدرك التأثيرات الثقافية التي تمارس على سلوكه الخاص.(P95Visonneau, 2000) وهكذا تصنف الثقافة في مجموعة من النماذج و الأشكال ومصفوفات السلوكية المتفق عليها في المجتمع. إنها تمثل نوعا ما طريقة استعمال لفهم الحقيقة كما يجب إدراكها. (p95Visonneau, 2000)

III. 2.3-الخبرة: حسب Weil-barais تنظم وتهيكل المكتسبات الماضية تحت شكل "معارف" التي تقود وتوجه سلوكنا للحاضر، من أجل الوصول للأهداف، وتسمح لنا بالآلية أو التكيف مع البيئة. تتعلق الآلية أو الأتمتة بالأنشطة المتكررة التي لا يغيرها أي تغيير في السياق والتي تتطلب بذل القليل من الانتباه، بينما التكيف، فهو يتعلق بالمواقف الجديدة. يعتبر أن حداثة الموقف أو المهمة لا تكتمل أبدا بحيث لا يمكن استثمار أي من معارفنا المتراكمة في التكيف معها (p 315Lecocq, 1994)، وأن المعرفة المكتسبة تسمح بمعالجة معلومات جديدة عن طريق الإجراءات المعرفية المحتفظ بها. الخبرة البيئة لها تأثير مهم على التفاعل بين الفرد وبيئته لأنه كلما وضعنا إجراءات علاج متنوعة وأكثر كفاءة وآلية كلما أمكننا من زيادة الموارد التي يمكن تكريسها للميزات الجديدة للموقف وزيادة فرصتنا في الاستجابة السريعة و ذات الصلة في الوقت المناسب . (p110Ghernoug, 1987)

ستكون هذه البنية الفرعية للهوية قبل كل شيء ذات طبيعة معرفية ، مبنية على أساس التجارب الفردية و ستكون هذه التجارب السابقة مصدرا لعدد معين من الإدراك المرتبط ارتباطا مباشرة بالمساحات والأماكن المختلفة التي سمحت بإشباع الاحتياجات الفسيولوجية و النفسية و الاجتماعية والثقافية للفرد طوال حياته، بدرجات متفاوتة حسب المكان والزمان ولكن من خلال هذه التجارب الإيجابية و المرضية إلى حد ما، ستظهر أيضا قيم و المواقف و مشاعر المتعلقة بالبيئة المادية. وهذا ما يجعل وصف لمفهوم هوية المكان حيث يعرفه Proshansky1978 "على أنه بنية فرعية للهواية الذاتية تتجمع تحت معرفة حول العالم المادي الذي يعيش فيه الفرد، وتشمل الذكريات الأفكار،المشاعر و المواقف و القيم و تفضيلات البيئة المختلفة و المعقدة التي تحدد الوجود اليومي لكل فرد".(p 45Fleury-bahi, 2010)

في حقيقة إن إدراكنا مشروط بتجاربنا السابقة، من خلال المواجهة الدائمة لعوامل بيئية جديدة مع المعرفة المتراكمة على بيئات التي يتم تصورها سابقا.

وحسب Pocock et Hudson1978 "أنه لا يتم الاقتراب من أي عنصر من عناصر البيئة ببراءة ، وأن الفرد يدرك بيئته من خلال المشاعر والمعتقدات المكتسبة مما يجعله يدرك البيئة بطريقة دقيقة" . (p110Ghernoug, 1987)

III. 3.3- الشخصية: تصف الشخصية بأنها مجموعة من السمات التي يتفرد بها الفرد عن غيره. ومن أجل تحديد موقع مفهوم الشخصية في علم النفس العام نحتاج إلى معرفة أنه من الناحية النظرية الموجودة بين علم النفس المعرفي (في إشارة إلى الوظائف المعرفية) و علم النفس الإكلينيكي حيث الفعالية (في إشارة إلى الوظائف الانفعالية كالدوافع و الانفعالات...). الشخصية في علم النفس العام مبنية من الظواهر المتعلقة بكل من الإدراك و الانفعال ويسمح لنا الحد غير الدقيق بين هاتين الوظيفتين بتصور بنية مختلطة من الشخصية. (p 139Le NY, 1993)

تنسب إلى هذا الهيكل أو البنية اسم الأسلوب المعرفي الذي يتم تحديده من خلال طريقة كل شخص في طريقة إدراكه واستحضار و الحفظ وبالتالي فهم المعلومات التي يتم إدراكها من خلال الطرائق الحسية المختلفة الموجودة تحت تصرفهم في مواجهة المعرفة الجديدة.(Flessas, 1997) بعبارة أخرى إنه تكوين معرفي عاطفي لفهم البيئة وتفسيرها وهو نوع من المخطط الجوهري لكل فرد مرشح إدراكه.

IV. 4- تنبؤ وتقييم الإنسان للبيئة:

من خلال النشاط الإدراكي، يمكن الاقتراب من طريقة التي يلتقط بها الإنسان المعلومات البيئية ،يعالجها ويبني تمثيلات عقلية التي تسمح له للاستجابة مع الحاضر، ويخطط استجاباته في المستقبل في بيئات مألوفة وجديدة. بين بناء التمثيل العقلي و الاستجابة البيئة هناك خطوتين مهمتين تتكون من التنبؤ بالبيئة وتقييمها، من خلال تعيين قيم لمكونات البيئة والتي بموجبها يطور الفرد مخططات الاستجابة.

IV **1.4.- التوقع أو التنبؤ:** يتوافق التنبؤ أو التوقع مع الجوانب السلبية أو الإيجابية للبيئة.ففي البنية المعرفية هذه التوقعات تتوافق مع تمثيل العقلي مشحونا بالقيم مشروطة بالحاجة. بعبارة أخرى يتم تحويل التمثيل العقلي إلى توقعات عندما يدخل في نمط الاستجابة لمثيرات بيئية من أجل تلبية الحاجات. ولهذا فالحاجة هي ضرورة استجابة الفرد للحالة الفسيولوجية والنفسية، التي يشعر فيها الفرد بالواقع .

في حقيقة الأمر، تظهر الطريقة الطبيعية و اليومية للاحتياجات بشكل عفوي و توجه الفعل باستمرار نحو الهدف المحدد وفق متطلبات البيئية و بالتالي فإن تحقيق الأهداف يسمح بإشباع الاحتياجات و يعزز تنمية الفرد وانسجامه مع بيئته. لذلك يمكن القول أنه من الضروري للإنسان أن يتجه نحو بيئات جديدة و غير مألوفة، ليتخذ الاحتياطات اللازمة لأي تدهور عقلي و بدني محتمل.في ظل هذا الاتجاه نحو المثيرات الجديدة وخبرات بيئية جديدة فإن التباين بين اكتساب الإدراك الحسي والظروف الجديدة تتوافق مع " الحاجة"، وهذا الأخير مرتبط عامة بالنقص المتعلق بعدم الرضا الفرد تجاه هذه الظروف.

إن العلاقة بين الحاجة و العامل البيئي هو مشروط من خلال تكافؤ هذا العامل. هذا الأخير هو تطابق القيمة في المجال النفسي، وهو يحدد خاصية المثير أو الشيء الذي يتسبب في السعي وراءه أو تجنبه، أو حتى يشعر بأنه ممتع أو غير ممتع. (p 200Bloch, et al., 1993)

في الواقع ، يتميز التكافؤ الايجابي بسلوك البحث والاستهلاك، أو الشعور بالمتعة، أما تلك السلبية فتتميز بسلوك الهروب أو الرفض،أو عن طريق الشعور غير الممتع. Bloch 1997 عندما يكون احد مكونات البيئة هو موضوع الحاجة، ينسب إليه تكافؤ إيجابي، وتولد الزيادة في شدة الحاجة إلى زيادة تكافؤ الايجابي للكائن القادر على إشباعه وفي نفس الوقت تضخم القيمة السلبية للأشياء أو الأنشطة الأخرى التي تعيق تلبية الحاجة. (p119Sillamy, 1980) لذلك فإن الحاجة هي التي تشحن التمثيلات العقلية بشكل إيجابي أو سلبي، وتحويله إلى نمط من الرضا أو التوقع.

على مستوى أكثر واقعية، التنبؤ أو التوقع يلعب دورا هاما في الراحة و الرضا البيئي. حيث يمكن توضح ذلك من خلال بنتائج الدراسات المقارنة، التي ذكرت من قبل Potvin et al ركزت هذه الدراسات على دور التوقع في الراحة الحرارية، التي ينظر إليها بشكل مختلف من قبل شاغلي المساحات ذات التهوية الطبيعية والتهوية الاصطناعية. ففي البيئات ذات التهوية الطبيعية، اعتاد شاغلي على تنوع أكبر في الظروف البيئية من تلك الموجودة في البيئات التي تخضع للمراقبة. أما هوامش الراحة الخاصة بهم فهي أوسع وأكثر تحملا فيما يتعلق بالتغيرات الحرارية الكبيرة. ويفسر حقيقة ذلك أنه البيئات، يقوم شاغلي بتحين أو تحديث حساسيتهم بانتظام للعامل الحراري وفقا للتغيرات الخارجية. مما يخلق تعديلا مستمرا لتوقعاتهم، مما يؤدي إلى ظهور توقعات عادلة، والتي يمكن أن تولد فقط الرضا. بينما في البيئات الخاضعة للمراقبة، تكون الظروف الحرارية مستقرة ، والتوقعات ثابتة ،وفي مواجهة التنوع الحراري، يصبح التنبؤ خاطئ مما يتسبب في عدم الرضا..سمحت هذه البرهنة أن تعتبر العوامل السياقية و التاريخ الماضي للعامل الفيزيقي، يعدل توقعات و تفضيلات شاغلي. (p 5Potvin, Demers, & Watchman, 2002)

IV. 2.4- التقييم: يتم استخدام المخطط الداخلي لتوقعات، المبني مسبقا عند كل فرد، لمقارنة الاستجابات البيئية التي بحوزته، مع خصائص المحفزات أثناء التقييم . عندما تكون المواجهة ايجابية يقال أن التوقعات "صحيحة " وهذا ما يولد الرضا للفرد بشكل عام وعندما تكون سلبية، يقال عنها "خاطئة" فتسبب عدم الرضا أو الاستياء و السخط . تتوافق التوقعات الصحيحة مع الظروف البيئية مما يسهل النشاط الإدراكي من خلال العلاجات المتاحة، أما التوقعات الخاطئة التي لا تتوافق مع الظروف البيئية ، تؤدي إلى إدراك مضلل يجب تعديله من خلال التكيف.

بصفة عامة، أي موقف يتم التعبير عنه بالرفض أو البحث فيما يتعلق بعامل بيئي، له ما يبرره بسبب داخلي مرتبط بالفرد –الإسناد الفردي-أو سبب خارجي مرتبط بالبيئة –الإسناد الظرفي- (p 274Deschamps, 1996)يتوافق هذا الإسناد مع المعرفة المرتبطة بالعوامل البيئية في الدراسات التقيمية فهي مهمة للغاية لأنها تسمح للباحث بالكشف عن حاجات شاغلها والكشف عن العوامل البيئية التي تؤدي إلى الرضا وعدم الرضا. عندما يقيم الفرد بيئته يجب التمييز بين مرحلتين في التقييم الكلي الذي يشير إلى استجابة عاطفية ، ثم تقييم محدد و مفصل لكل مكون. (p18Lévy-leboyer, 1980) من الصعب تحديد العلاقة بين التقييم الكلي والخاص لأن الرضا العام يمكن أن يحجب أو يخفي انزعاجا معينا والعكس صحيح.

V. 5- تكيف الإنسان مع البيئة: في نهاية خطوات غير قابلة للفصل من الإدراك، و التوقع والتقييم، تتبلور استجابة الفرد في علاقته التفاعلية مع البيئة من خلال " التكيف". إنها المرحلة التي تجعل مخطط الاستجابة الداخلي عمليا وفقا للتوقعات الخاطئة أو الصحيحة للفرد المتفاعل. في الأدبيات، يمكننا أن نفرق بين معنيين لمصطلح " **التكيف**" من جهة يحدد فيها العملية التي تسمح للفرد بضبط مواقفه وسلوكياته مع العوامل البيئية، ومن ناحية أخرى هي حالة التوازن في علاقة الفرد ببيئته. تعرف عملية التكيف، بأنها مجموعة التغييرات في السلوك التي تهدف إلى ضمان التوازن العلاقات بين الكائن الحي وبيئاته المعاشة، وفي الوقت نفسه، الآليات و العمليات التي تكمن وراء هذه الظاهرة .(p51Bonnet, 1993) فهي تسمح للفرد بالتكيف مع البيئة، من خلال التغييرات في إدراكه وسلوكياته التي تواجهه المشاكل البيئية.

يبحث الأفراد عن الراحة في محيطهم، فيغيرونها عندما يستطيعون، أو يتكيفون معها عندما لا يستطيعون ذلك. (p339Vischer, 1989)أنهم ليسوا ساكنين في انتظار تلبية حاجاتهم حتى تكون مرضية مثل متلقي الراحة. هذا هو السبب الذي يجعل التكيف عملية نشطة على الدوام مما يسمح لنا بتنظيم التوازن بين منبهات البيئية واستجاباتنا الإدراكية و السلوكية بشكل يومي . حيث تحدث بطريقة واعية، عندما تكون هذه العوامل مختلفة تماما عن توقعاتنا إلى درجة أنها تخلق حالة من التوتر السلبي، أو دون وعي عندما لا تختلف هذه العوامل عن تلك التي اعتدنا عليها.

تعتمد الاستجابات البيئية على وظيفتين رئيسيتين و هي عملية معقدة تنطوي على تعديل الفرد أو البيئة لتتلاءم مع احتياجات الفرد ويمكن تقييم عملية التكيف على عمليتين متكاملتين هما: **التكيف والاستيعاب**. حيث يعبر الاستيعاب عن تعديل التجارب الخارجية لتلاءم المخطط الذهني لتوقعات حتى يتمكن الفرد من امتصاص البيانات البيئية ،فإذا لم يحدث هذا لامتصاص، بدون معلم معرفي مسبق فإنه يظل معلق لا يمكن تقييمه حتى يتم إثبات صحته من خلال التكيف. يتكون هذا الإثبات من إعادة ضبط معارف جديد أو الطريقة استيعابها في الخريطة المعرفية عن طريق العملية الأخذ و الرد مع البيئة.هاتين الوظيفتين التي تضمن قدرة الفرد على التكيف مع المواقف غير متوقعة، (Bloch, et al., 1993) وعلى أساسها يميز بياجه نوعين من التكيف : العملية الاستيعابية و العملية التكيفية. تتم عملية الاستيعابية عندما نقوم بدمج البيانات الجديدة مع الأنماط سلوكية مكونة سابقا. وتتم عملية التكيف عندما تقوم المعرفة الجديدة في المخطط الموجود مسبقا لتجعله متوافقا مع متطلبات الموقف.الاستيعاب و التكيف هي عمليات ذاتية لكل منها، يصعب على الفرد أن يكون على وعي بها ، كما يصعب على الباحثين ملاحظتها. غير أن التكيف يبقى قابل للملاحظة من خلال متغيراته (كقلق،العبء، إثارة ،عادة .....) وأشكاله يكون (إدراكي و سلوكي) (Sillamy p200، 1980)

V **1.5- التنوع التكيفي:** يتصف الفرد بصفة المرونة حتى يتمكن من إخضاع القوانين التي تتعارض معه في شكل ملائم للحفاظ على بقاءه. و ذلك عن طريق استثارة، في مواجهة أي عامل تم تقييمه على أنه خطر أو ضار، حيث ترتبط مجموعة من ردود الفعل بعملية مزدوجة تكون عصبية وهرمونية التي تسمح بالمقاومة العدوانية. عندما تفشل هذه الصفة (المرونة)، يختل التوازن ويظهر مرض التكيف. هذه التفاعلات هي التغيرات التكيفية التي تحدثها الظروف البيئية: عرضية أو متوقعة (مؤقت أو دائم) ، قابلة للعكس أم لا. ويتم التعبير عنها من حيث التوتر،المرونة ،العادة التأقلم..... (Bloch, et al., 1993) وتكون عواقبها وخيمة على مستوى البدني والعقلي.

في هذا السياق يمكن أن نتطرق إلى مستويين من التنوع التكيفي الأكثر شيوعا واستخداما في التقييم البيئي،فالمستوى الأول متعلق بالعادة المرتبطة بالبيئة المألوفة أما المستوى الثاني متعلق بالضغط المرتبط بالتغييرات البيئية أو البيئة الجديدة.

V **2.5- التعود:** يمكن أن نتسأل كيف تكون حياة الفرد إذا كانت تفاعلاته مع جميع تغيرات البيئة. في الواقع، يكون الاهتمام والانتباه أكبر حول المثير عندما يكون جديدا وغير مألوف، ومع مرور الوقت تبدأ هذه الإثارة في الاختفاء لأن الفرد كررها لعدة مرات. فيتعلم عدم الاستجابة لمثيرات معروفة التي لا تحمل معلومات جديدة، و أبسط شكل من الأشكال هذا التعلم هو التعود. (Weil-Barais, 1994 p 33)

وجاء في معجم العلوم الاجتماعية أن التعود هو صيغة مكتسبة في السلوك كمهارة حركية أو طريقة في العمل أو في التفكير مع تكررها فالعادة تجعل الفرد يتصرف بطريقة آلية مع السرعة و الدقة و الاقتصاد في المجهود ويقصد بالتعود صيرورة الفرد متكيفا مع مثير معين أو وضع خاص أو بيئة عامة معينة. (بدوي، 1993ص 190)

عرف التعود بأنها عملية انخفاض في شدة السعة أو مدة الاستجابة،(سلوكية،نباتية، عصبية) ومن ثم اختفاء هذه الاستجابة أثناء تكرار المنبه المثير عندما لا يتبع ذلك تعزيز سلبي أو إيجابي.(Thon, 1993 p 391) كانت عملية انخفاض ثم اختفاء الاستجابة، موضوعا لعدة نظريات بما في ذلك نظريةSokolov التي اعتبرت أنه أثناء معالجة المنبه، يتم إنشاء نموذج مطابق في شكل إدراك. (Le NY, 1993 p 139) وعندما يتكرر هذا المثير، يتم مقارنة نموذجه مع النموذج المركزي الموجود مسبقا، وعندما يتطابق، يتم تثبيط نظام الاستجابة تدرجيا. هذا يعني أنه طالما الاختلاف بين النموذج والإدراك مستمر، فإن المثير يجدب الانتباه لكن كلما قلت الفجوة انخفض الانتباه. هذا يتوافق تماما مع عملية التقييم، حيث تواجه التصورات الجديدة مع التوقعات، (أو النموذج مركزي موجود مسبقا) عندما يكون هنالك توافق يتم تنشيط الاستجابات الآلية، دون أن يكون الانتباه مطلوب.

التعود، باعتباره عملية معرفية غير واعية، يولد شكلا واعيا من السلوك أو الفعل، في المجالين الحركي والفكري والتي هي " **التعود** ". حيث تعتبر كوظيفة اقتصادية تسمح بالتنفيذ التلقائي والدقيق للأفعال المعقدة حين تتطلب مكتسباتهم قدرا كبيرا من الجهد، وهذا ما جاءت به دراسة ردود الفعل، على سبيل المثال،حيث تعرف إحدى النظريات العادة بأنها قوة الربط بين المنبه والاستجابة وتعتمد على عدد التكرارات. (Le NY, 1993 139)

يمكن القول، أن التعود بمثابة التباين التكيفي المطابق للبيئة المألوفة، حيث يتفاعل شاغليها مع العوامل البيئية من خلال مخطط الاستجابة التي يتحكمون فيه بالتعود فتصبح بذلك سلوك تلقائي غير شعوري لا يحتاج إلى الكثير من التركيز،على عكس البيئة الجديدة والتي تتطلب فترة من التعلم السلوكي والإدراكي مشروط من خلال التنوع التكيفي لضغط .

VI 7- أشكال التكيف:

يمكن بصفة عامة تمييز بين نوعين من التكيف وفقا للاستجابات الفرد، وهو التكيف الإدراكي و التكيف السلوكي . p) 120Sundstrom & Sundstrom, 1986)

VI 1.7- التكيف الإدراكي: يتعلق هذا الشكل من التكيف بشكل مباشر بآليات إدراكنا ،فهو يقع على مستويين متميزين هما: المستوى الفسيولوجي حيث يكون مستقلا عن سيطرتنا أو إرادتنا ، والمستوى النفسي حيث يعتمد على درجة مقاومتنا أو قدرتنا على استيعاب الظروف البيئة الجديدة.

فعلى المستوى الفسيولوجي، يتعلق الأمر بالتغيير في الإدراك الحسي بعد التعرض الطويل للمثير. لأنه لا إرادي، و ينفذ عمليات فسيولوجية مثل صوت عال يشد بعض العضلات الأذن الداخلية لتخفيف الإحساس، كما تؤدي الإضاءة المفرطة أو غير الكافية إلى اتساع أو تضيق حدقة العين لتكييف الرؤية مع تغيرات الضوء، و يتلاشي الإحساس شمي بحيث لا يتم الكشف عن الروائح إلا لبضع دقائق ....هذا التعديل الحسي هو تخفيف من حساسية المنبهات البيئية، مما يقلل من الانزعاج إلى المستوي الصفر.(Bloch, et al., 1997)

أما على المستوى النفسي، فهو يتعلق بشكل أساسي بمستوى تكيف كل فرد، و الذي يمثل مجموعة منظمة من التوقعات المبنية على مر الزمن، في البيئات المشغولة. وتعتبر الخبرة المكتسبة من البيئية السابقة، في شكل مرجع، الذي يواجه الفرد كل مثير جديد من أجل الحكم عليه.(Bloch, et al., 1997) الفرضية المركزية لمستوى نظرية " التكيف " هو أن التعرض الطويل لبيئة ينطوي على إعادة هيكلة تدرجية لمستوى التكيف وفقا للظروف. هذه الأخيرة عندما تكون جديدة و مدركة ينظر إليها على أنها متطرفة شيئا فشيئا، يتم استيعابها تدرجيا كمعايير جديدة للمرجعية و الضغط أو التوتر الذي تسببت فيه في البداية أو تتبدد. يمكن أن تؤدي المنبهات المعتدلة إلى التكيف السريع، ولكن عندما تكون متطرفة (تختلف اختلاف كثيرا عن مستوى التكيف) فقد يكون التكيف بطيئا وقد يستمر النظر إلى الظروف البيئية على أنها متطرفة وتسبب إجهاد لبعض الوقت.

VI 2.7- التكيف السلوكي: ويتعلق الأمر بمستويين ، من جهة التكيف الذي يؤثر على البيئة ومن جهة آخري التكيف الذي يؤثر على عادتنا. في البيئة (تعديل المثير)، يطلق عليه التحكم أو التعديل، عندما توفر البيئة إمكانية تعديل الظروف غير مواتية لجعلها مواتية لشاغلها. يمكن أن يتوافق هذا التعديل مع عنصر التحكم في تصميم، الذي يمارسه الشاغل، قد يكون من خلال السلوك التقليدي، أو التحكم غير المتوقع من قبل المصممين و الذي يمارسه شاغلي من خلال سلوك غير تقليدي (إلغاء الإضاءة المكثفة، إعاقة إمداد الهواء). أما المستوى الثاني، من خلال العمل وفقا لعاداتنا الخاصة، يتعلق بالبيئات التي يكون فيها التعديل غير فعال، فنلجأ إلى سلوكيات تعويضية. يمكن أن تكون هذه الأخيرة في شكل مضاف أو مطروح لتحقيق توازن التكيف. عندما يكون المنبه مفرطا ، يكون التعويض مطروحا مثلا (مقابل ضوضاء عالية نضاعف التركيز ،أويتم إيقاف الضوضاء عند مستوى الأذنين)، عندما تكون غير كاف يكون مضافا (عند البرد الشديد نلبس ملابس إضافية). وبالتالي ،فإن مستوي التكيف السلوكي يعتمد بشكل وثيق على درجة التحكم التي تمكن لشاغل أن يمارسها في ظروف غير ملائمة.عندما يكون من ممكن التصرف مباشرة حسب هذه الظروف ، يكون التكيف في شكل تعديل وفي حالة المعاكسة، يلجأ الفرد إلى السلوك التعويضي بتعديل عاداته الخاصة وتعوض النقص و إفراط.

VII 8- الخلاصة:

من خلال ما سبق ذكره حول موضوع التفاعل الفرد مع بيئته، يظهر لنا جليا أن عملية الإدراك عملية معقدة حيث تساعدنا على فهم ما يحيط بنا.

الإدراك عملية عقلية نفسية تساعد الفرد على معرفة عالمه الخارجي و الوصول إلى معاني و دلالات الأشياء وذلك عن طريق تنظيم المثيرات الحسية التي يتم من خلالها تفسير وتأويل المثيرات وصياغتها على نحو يمكن فهمها، ومن ثم الخروج بتصور أو حكم أو قرار.

كما تعتبر عملية الإدراك مصدر الأصلي للمعلومات عن البيئة فهي عملية تقوم على أساس خليط من المعلومات الحسية و التوقعات القائمة على الخبرة، فتشير المعرفة البيئية أساسا على تكوين تمثيلات أو تصورات عقلية لبيئتنا.

لذلك فإن التوقع هو عامل ضروري ومهم لتكيف الفرد مع البيئة، فهو يأتي من عملية الإدراك التي تسمح ببناء تمثيلات عقلية جاهزة للمواجهة من خلال تقييم ظروف البيئة على شكل توقعات تتضمن أنماط من ردود الفعل تجاه البيئة المتوقعة في المستقبل القريب أو البعيد.

إن التناقض و التضارب بين التوقعات و العوامل البيئة للحظة تولد حالة من عدم التوازن (النفسي أو/ و الفيزيولوجي) تميل إلى الاستقرار نحو حالة التوافق من خلال عملية التكييف.

إن التكيف عملية نشطة على الدوام مما يسمح لنا بتنظيم التوازن بين منبهات البيئية و استجابة الإدراكية و السلوكية بشكل يومي ، حيث تحدث بطريقة واعية إدا كانت العوامل مختلفة تماما عن توقعاتنا إلى درجة أنها تخلق حالة من التوتر و العكس ، وتتم عملية تقييم التكيف من خلال عمليتين متكاملتين هما الاستيعاب و التكيف.

- الإحالات والمراجع :

أحمد زكي بدوي. (1993). معجم مصلحات العلوم الاجتماعية. لبنان: مكتبة لبنان.

اندرو ماك فرنسيس. (2002). علم النفس البيئي. (محمد عبد اللطيف خليفة، و سيد يوسف جمعة، المترجمون) مطبوعات جامعة الكويت.

1. André Potvin ،Claude Demers و ،Mélanie Watchman .(2002) .*Assessing environmental comfort* .france: proceeding of the 19th conference of passive and low energy architecture ,toulouse.
2. Bernard Thon .(1993) .*in bloch ,H et al sous la dir :grand dictionnaire de la psychologie 2éme edtion* .france: larousse.
3. Bloch, H., Chemama, R., Dépret, é., Lecoute, P., Gallo, A., Le ny, J.-f., et al. (1993). *grand dictionnaire de la psychologie.* france: 2éme édition larousse france .
4. Bonnet, C. (1993). *bloch ,H et al ,(sous la dir)grand dictionnaire de la psychologie 2eme ed.* france: larousse.
5. Charles Bonnet .(1993) .*le grand dictionnaire de la psychologie 2eme editon* .larousse1999.
6. Claude Lévy-leboyer .(1980) .*psychologie et environnement* .collection psychologie ed puf.
7. Deschamps, J.-c. (1996). *Attribution et explication* . suisse: Delachaux et niestlé suisse.
8. Eric Sundstrom و ،Mary-Graehl Sundstrom .(1986) .*Work places the psychologyof the physical environment in offices and factories* .Cambridge university press.
9. Fleury-bahi, G. (2010). *psychologie et environnement des concepts au applications.* france: Deboeck.
10. Ghernoug, H. (1987). Astudy of man-environment relationship in public squares-case studies in algiers algeria. *M,A thesis in urban design institute of planning studies* . nottingham university , england.

11. Henriette Bloch ،Pierre Leconte ،Didier Casalis ،maurice Reuchlin ،Jacques Postel ،Jean-françois Le ny .(1997) وآخرون. *Dictionnaire fondamental de la psychologie* .france: Larousse 2émé édition.
12. Janine Flessas .(1997) .*Erudit* من ،2021 ,12 09 تاريخ الاسترداد .erudit org: https://www.eurdit.org
13. Le NY, J.-F. (1993). *pdychologie cognitive* . france: grand dictionnaire de la pdychologie 2éme edition larousse .
14. Lecocq, P. (1994). *comment l'homme conserve-t-il des souvenirs.* (Weil-barais, Éd.) france: sous la dir l'homme cognitif collection premier cycle 2 éme édtion PUF .
15. Lévy-leboyer, C. (1980). *psychologie et environnement.* france: collection psychologie ed; PUF.
16. Michel Denis .(1989) .*image et cognition* .france: PUF psychologie d'aujourd'hui.
17. Norbert Sillamy .(1980) .*dictionnaire encyclopédique de pdychologie 2 tomes* .paris: Bordas.
18. Richard, J.-f. (1993). *les activités mentales, comprendre,raisonner,trouver des solutions.* paris: Armand colin.
19. Steri, A. (1994). *comment l'homme perçoit-il le monde? in weil-barais ,A. (sous la dir).* france: collection premier cycle 2éme édtion PUF.
20. Vischer, J. (1989). *Environmental quality in offices* . USA: Van nostrand reinhold new york.
21. Visonneau, G. (2000). *culture et comportement.* paris: cursus psychologie Armand colin.
22. Weil-Barais, A. (1994). *repéres théoriques et connaissances.* france: l'homme cognitif.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب:APA

مزازة كريمة ، (2024) **إدراك العامل للبيئات المغلقة المبني الزجاجي نموذجا** ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 16(02)/2024، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، (ص.ص 63- 72).